# أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م وانعكاساتها السياسية على العراق

الكلمات المفتاحية: احداث الحادي عشر، سبتمبر، العراق

م. د. حامد عبد علي شبيب المحمدي
المديرية العامة لتربية الأنبار
Hamed6574@gmail.com

**الملخص**

يتناول البحث دور السياسة الأمريكية في استغلال أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، وتسويقها كذريعة للحرب على العراق، وكيف كان للحدث أثره الكبير في توجيه النشاط الصهيوني لدفع المحافظين للضغط على الإدارة الأمريكية لإصدار قرار الحرب على العراق، وكيف شغلت مسألة اتهامه بدعم الإرهاب وامتلاكه لأسلحة الدمار الشامل القضية الأبرز التي قادت الى شنّ الحرب عليه ثم احتلاله.

## المقدمة

يتناول البحث مرحلة مهمة من مراحل المواجهة بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق، والتي أخذت شكل التصعيد والتهديد باستخدام القوة العسكرية، وكيف كان لأحداث سبتمبر/أيلول الأثر الكبير في توجيه السياسة الأمريكية بضرورة استغلال ذلك الحدث لتنفيذ سياستها ومخططها تجاه العراق.

تأتي أهمية البحث من كونه يمثل حداً فاصلاً بين مرحلتين من مراحل تاريخ العراق، والتي أسست لنهاية عهد وبداية آخر، وتم الإيضاح عن طريقها عن حجم المخطط الصهيوني الذي كان يعمل للتأثير على الإدارة الأمريكية وحملها على اتخاذ قرار الغزو الأمريكي للعراق ثم احتلاله.

تناول البحث في طياته موضوعات مهمة، وكشف عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى شنّ الحرب عليه ومن ثم احتلاله، وكيف كانت المنظمات الصهيونية تحرك كل وسائلها الإعلامية، وتقاريرها وخططها منذ أكثر من عقدين، لمحاولة تضخيم خطر العراق على المنطقة، وكيف جاءت أحداث سبتمبر لتعطي الإدارة الأمريكية الضوء الأخضر لتنفيذ استراتيجيتها المعدة سلفاً تجاه العراق.

**أحداث سبتمبر وانعكاساتها على العراق:**

مع تولي الرئيس جورج بوش الابن George Bush(٢٠٠١- ٢٠٠٩م) منصبه في ٢٠ كانون الثاني/يناير ٢٠٠١م، كان كبار مسؤوليه منقسمين حول كيفية التعامل مع العراق، إذ كان رأي فريق الحمائم بأن هناك طرق أخرى غير الحرب، يمكن من خلالها مواجهة العراق، وإن العقوبات الدولية وسياسة الإحتواء كفيلة بمواجهته، في حين ركز فريق الصقور، وهم (مؤيدو الهيمنة والمتمثل بنائب الرئيس ديك تشين Dik cheney ، ووزير الدفاع دونالد رامسفيلدDonald Rumsfeld ، ونائب وزير الدفاع بول ولفوويتزPaul Wolfowitz ) على وجوب شنّ الحرب لتغيير نظام الحكم فيه.

من جانب آخر، كان للصهيونية تأثير واضح على تفكير المحافظين الجدد الذين هيمنوا على القرار السياسي في الإدارة الأمريكية. وبذلك شهد عهد الرئيس بوش بداية عهد المحافظين الجدد، الذين كانت أفكارهم هي المتحكمة بقرارات إدارة الرئيس بوش، والتي قامت برسم التوجهات الجديدة للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وأهمها التأكيد بأن الخطر الذي يهدد سلامة إسرائيل والمصالح الأمريكية، يتمثل بأنظمة الحكم العربية التي اتخذت مواقف عدائية من الوجود الأمريكي في المنطقة، أو ربما تشكل عقبة أمام المصالح الأمريكية، لذلك رأت تلك الجماعة بأن أفضل وسيلة للولايات المتحدة، هي وجوب إزالة تلك الأنظمة الإستبدادية، وإبدالها بأنظمة حكم موالية للتوجهات الأمريكية الجديدة، وقائمة على الديمقراطية حسب زعمهم.

من جانبها نشرت وسائل الإعلام الأمريكية تقريراً صحفياً مضاداً لنظام الحكم في العراق، أوردته مجلة (يو. اس. نيوز، وتقرير.U.S. News & World Report) الأمريكية، متضمناً نقاطاً عدة تصف صعوبة التعامل والتعايش مع النظام العراقي، مبينة مدى خطورته على إسرائيل قائلة: "إنه البلد العربي الوحيد الذي يهدد بجدية أمن إسرائيل"[١]. وأفادت صحيفة هارتس في ٢٦ شباط/فبراير ٢٠٠١م، "إن شارون يعتقد أن العراق يشكل تهديداً للإستقرار الإقليمي بسبب سلوكه الضال وغير المسؤول"[٢].

وأمام تلك التوجهات، جاءت أحداث سبتمبر لتصب الزيت على النار، إذ شهد يوم الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م، اصطدام ثلاث طائرات ركاب أمريكية نتيجة عمل

مفتعل، الأولى والثانية بأحد برجي التجارة العالمية في نيويورك، فيما اصطدمت الثالثة بمبنى البنتاغون في واشنطن، مما أحدث صدمة كبيرة على المستوى العالمي. فقد تم استهداف هرمي الإقتصاد والدفاع الأمريكيين، ومما هو غريب أن الإستهداف لم يأتي من عدو خارجي معروف، وإنما من أشخاص داخل الولايات المتحدة. واختلفت التأويلات بشأن دوافع ذلك الهجوم، ولعل التفسير الأكثر جرأة، ما فسره زبغينو بريجنسكيZbigniew Brzinski (مستشار الأمن القومي الأسبق) قائلاً: "أنه لا مفر من الحقيقة التاريخية بأن التدخل الأمريكي في الشرق الأوسط، هو السبب الرئيسي لإتجاه الإرهاب نحو الولايات المتحدة"(٣).

وبذلك جاء هذا الحدث ليضع حداً فاصلاً بين مرحلتين تاريخيتين من مراحل السياسة الأمريكية، ووجدت الإدارة الأمريكية ضالتها في تنفيذ استراتيجيتها المعدة سلفاً للشرق الأوسط، وكان يساندها بذلك، الموقف الدولي المتعاطف معها جرّاء هذا الحدث، والذي تمثل بمجلس الأمن وحلف شمال الاطلسي، إذ عقد مجلس الأمن اجتماعه في اليوم التالي (١٢ سبتمبر)، والذي خصص حول تهديدات السلم والأمن الدوليين التي تسببها أعمال الإرهاب، وأصدر القرار رقم ١٣٦٨ الذي أدان به الهجوم، ويقر بحق الولايات المتحدة الطبيعي في الدفاع الشرعي الفردي أو الجماعي عن النفس بما يتفق مع ميثاق سان فرانسيسكو. وبعد هذا القرار عقد مجلس حلف شمال الاطلسي اجتماعاً آخراً، وقررت الدول الأعضاء تقديم المساعدة للولايات المتحدة لمواجهة الهجوم، بعد أن عدّت بأن الهجوم على الولايات المتحدة هو بمثابة هجوم على كل أعضاء الحلف.

ويوضح ريتشارد كلارك كلاركRichard Clarke (المنسق القومي للأمن ومكافحة الارهاب للمدة ١٩٩٨– ٢٠٠٣م)، أنه بعد خمس ساعات على هجوم البنتاغون، كان وزير الدفاع رامسفيلد يطلب من مساعديه البدء بالتفكير في ضرب العراق، مع أنه لا يوجد في تلك المرحلة ما يشير إلى ارتباط العراق بالهجمات، ويوضح بأنه منذ اللحظات الأولى تقريباً بعد هجمات الحادي عشر من أيلول، بدا أن التعامل مع الإرهاب الدولي أصبح متداخلاً بأفكار قديمة، لاسيما المصلحة في القضاء على نظام الحكم في العراق، ورغم ورود الربط بينه وبين هجمات أيلول في خطب العديد من المسؤولين في إدارة الرئيس بوش، إلا أنه لم يثبت أحداً أن للعراق علاقة بالهجمات(٤).

كل ذلك كان مهّد الطريق أمام الإدارة الأمريكية لتنفيذ استراتيجيتها المتعلقة بالشرق الأوسط. وهذا واضح عن طريق ما دعا به الرئيس السابق بيل كلينتون Clinton W. Jefferson في ١٢ أيلول/سبتمبر إلى إحلال فكرة "الحرب على الإرهاب" محل "الحرب الباردة على الشيوعية" وأسماها :"حرب أمريكا المقدسة"(٥).

ومع تزايد الدعوات لمساندة الإدارة الأمريكية في عمليات الرد الإنتقامي على أحداث أيلول/سبتمبر، بدأت مخططات ومحاولات الإنتقام من العراق تحتل تقارير وأحاديث المسؤولين الأمريكان، ففي وزارة الدفاع الأمريكية، قام وزير الدفاع رامسفيلد بطرح السؤآل التالي: "ألا توفر الهجمات الإرهابية فرصة للإنقضاض على العراق؟"(٦). وكان يساند مواقف رامسفيلد العدائية تجاه العراق، نائبه بول وولفويتز الذي كان يرى في أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، مسوّغاً ملائماً لقلب نظام حكم صدام حسين، وعرض في بيانه على الصحافة في ١٣ أيلول/سبتمبر، أن الرد الإنتقامي الأمريكي سيكون حملة وليس عملية محدودة. وعبر كيسنجر عن وجهة نظره قائلاً: "يتوجب على الحكومة أن تسهم في مهمة التوصل إلى ردّ منهجي، يؤدي كما نأمل إلى النتيجة ذاتها التي تلت الهجوم على بيرل هاربر.. علينا أن نعدّ ردنا بشكل متعقل وبلا رحمة"(٧).

ومع بدء تلبّد سماء الإدارة الأمريكية بغيوم الحرب، أثيرت فكرة غزو العراق كجزء من حرب عالمية ضد الإرهاب، وعقد الرئيس بوش في ١٥ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م، اجتماعاً في كامب ديفيد لمستشاريه الرئيسيين للأمن القومي الأمريكي، بمن فيهم (كونداليزا رايس ونائب الرئيس تشيني، ووزير الخارجية كولن باول، ووزير الدفاع رامسفيلد، ونائب وزير الدفاع بول وولفويتز، ومدير وكالة المخابرات المركزية جورج تينيتGeorge John Tenet ، ورئيس هيئة الأركان المشتركة ريتشارد مايرزRichard Myers)، وأحضر رامسفيلد وولفويتز أوراقاً موجزة، حددت ثلاث مجموعات محتملة من الأهداف (طالبان والقاعدة والعراق)، وقال وولفويتز أن العراق يمثل تهديداً مباشراً للأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية، وإن نظامه دعم الإرهاب الدولي، وسعى لتطوير أسلحة دمار شامل (WMD)، يمكن استخدامها ضد حلفاء الولايات المتحدة بما في ذلك إسرائيل، وإنه ربما شارك في مؤآمرة أيلول/سبتمبر(٨). وإقترح إدراج العراق كهدف للرد العسكري الأمريكي على هجمات أيلول/سبتمبر، وحضّ على مهاجمته قبل

افغانستان[٩]. وكان يساند تلك التوجهات رامسفيلد، الذي دعا بدوره أيضاً الرئيس بوش إلى تقديم أولوية احتلال العراق على العمليات في أفغانستان.

ويذكر ريتشارد كلارك، إن رامسفيلد قال: "إننا بحاجة لضرب العراق، ولا توجد أهداف جيدة في أفغانستان، وهناك أهداف جيدة كثيرة في العراق"[١٠]. ويقول دوغلاس ج. فايث Doglas Feith (نائب وزير الدفاع للشؤون السياسية): "في اجتماع كامب ديفيد، كانت ملاحظات رامسفيلد بوجه عام، تتبع الأفكار المدونة في مذكرتنا، ولكنه ترك لوولفويتز مهمة عرض مسألة العمل العراق". وقرر الرئيس بوش أن يبدأ العمليات العسكرية في أفغانستان، ويؤجل مثل هذه الأعمال ضد العراق[١١]. وأخبر الرئيس بوش مستشاريه للأمن القومي قائلاً: "على الرغم من أن الهدف الأول للحرب على الإرهاب كان أفغانستان، إلا أننا في النهاية علينا العودة إلى مسألة العراق"[١٢].

وفي محاولة لخلق الذرائع التي تبيح له تنفيذ خططه حيال العراق، سأل الرئيس بوش مدير وكالة الإستخبارات المركزية جورج تينيت فيما إذا كانت وكالته تنظر في احتمالية تورط العراق في ذلك الحدث. ولعله أراد بذلك أن يوحي له بخلق الأدلة التي تثبت التورط العراقي بأحداث أيلول/سبتمبر.

ليتضح من خلال الإجتماع، أن مسألة احتلال وتدمير العراق، قد حظيت بالنصيب الأكبر من المحادثات التي ركزت جهدها على ضرورة مواجهة الإرهاب، وضرورة إنهاء دور العراق بعد إتهامه بدعم الإرهاب، وكان هدف تلك التصريحات الإعلامية، تصوير العراق بأنه خطر يهدد السلام العالمي والأمن الدولي.

شكلت هجمات أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م، نقطة تحوّل في السياسة الخارجية الأمريكية، إذ مكنت الإدارة الأمريكية من الإنفراد بالقرار الدولي، إذ أعلن الرئيس بوش في ٢٠ أيلول/سبتمبر، أن الحرب على الإرهاب ستبدأ بالقاعدة، ولن تنتهي إلا بهزيمة كل المجاميع الإرهابية ومنعها من الإنتشار في العالم.

والملاحظ أن الرئيس بوش أعلن حرباً عالمية على الإرهاب، ولم يعلن حرباً ضد القاعدة في أفغانستان، وهذا يبدو واضحاً أن حرباً جديدة من نوع آخر سيتعرض لها الشرق الأوسط بشكل عام والعالم الاسلامي بشكل خاص، وينذر بنهاية مرحلة وبداية أخرى بشأن العراق، والتي ستأخذ شكل التمهيد لإحتلاله.

وحول التأييد والتحريض للسياسة الأمريكية، يقول ناتان شاراناسكي (مؤيداً لسياسة الرئيس بوش): "إن الحرية والديمقراطية أمران حاسمان لدحر الإرهاب، وإن استراتيجية بوش في بناء مجتمعات حرة تتلخص بجزأين لكسب الحرب على الإرهاب، الجزء الأول هو إنهاء دعم الدول للإرهاب، والجزء الثاني هو استبدال الأنظمة الراعية للإرهاب بحكومات ديمقراطية(١٣).

وهنا كان برنارد لويس الذي قام بدور العراب الصهيوني الذي صاغ للمحافظين الجدد في إدارة الرئيس بوش، استراتيجية لتفتيت الدول العربية والإسلامية، قد قدم المسوغات التي تبيح للولايات المتحدة استخدام الضربة الوقائية ضد العراق، وشارك في وضع استراتيجية الغزو الأمريكي على العراق، وذكرت صحيفة نيويورك تايمز، أن لويس كان مع الرئيس بوش ونائبه تشيني، خلال اختفاء الإثنين على إثر حادثة إرتطام الطائرة بالمركز الإقتصادي العالمي في هجمات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م، وخلال هذا الإجتماع صرّح بأن أحداث أيلول/سبتمبر هي الطلقة الأولى في المعركة النهائية في هذه الحرب الحضارية الطويلة، وإن الذي سينتصر في المعركة، سينتصر تاريخياً(١٤).

ويبدو من ذلك أن صاحب نظرية إعادة الإستعمار الغربي للوطن العربي، قد وجد طريقه لدى الإدارة الأمريكية، لتشكّل تلك الأحداث، فلسفة جديدة للسياسة الخارجية الأمريكية، وهذا بطبيعة الحال ينذر بولادة حروب مختلفة عن سابقاتها، وتحمل أهداف ومعاني مختلفة.

مع تزايد القلق الأمريكي الكبير بشأن احتمال امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، والتي يمكن استخدامها في تهديد المصالح الأمريكية، باتت العناصر الأكثر محافظة في الإدارة الأمريكية، لاسيما الذين يتعاطفون مع إسرائيل، تخطط لرؤية نظام عالمي جديد تفرضه الولايات المتحدة على الشرق الأوسط، كسياسة جديدة لمواجهة الإرهاب وانتشار الأسلحة الكيميائية. وأصدر الرئيس بوش في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١م، تعليمات سرية إلى رامسفيلد، لتحديث خطط الحرب على العراق، وهذا ما أوضحه في مذكراته قائلاً:" بعد مضي شهرين على أحداث سبتمبر، طلبت من رامسفيلد مراجعة خطط الحرب الموضوعة للعراق، وفي اجتماع مصغّر في مكتبه، طلب رامسفيلد من الجنرال تومي فرانكسTommy Franks أن يقوم بمهمة إعداد موجز لخطط الحرب، وأن يبدأ في إعداد خيارات عسكرية ضد العراق، وحدد الوزير هدفين: الأول يتعلق بأسلحة الدمار الشامل، وطلب خطة لإيجاد الأسلحة ونقلها وتدميرها، وإيجاد الأشخاص الذين أداروا برامج أسلحة الدمار الشامل. والثاني تغيير النظام،

ولهذه المهمة طلب رامسفيلد خيارات تشمل خياراً واحداً من بينها، يستلزم شهراً أو شهرين فقط و٢٥٠,٠٠٠ جندي، ليس بالضرورة أن يكون جميعهم من الولايات المتحدة الأمريكية"[١٥]. وذكر الرئيس بوش في مذكراته، أنه مباشرة بعد عيد الميلاد، جاءني تومي فرانكس ومعه ملخص عن العراق، يتضمن بأن الخطة الموضوعة ستحتاج إلى ستة أشهر من التحضير وأربعمئة ألف جندي"[١٦].

بدأ تشيني منشغلاً بشكل خاص بعد أحداث أيلول/سبتمبر، بالروابط المحتملة بين العراق والقاعدة، ويذكر وولفويتز أن تشيني تغيرت وجهة نظره بشأن الحاجة إلى التخلص من نظام الحكم في العراق بحلول ١١ أيلول/سبتمبر، من خلال الإعتراف بالخطر الذي يمثله الإرتباط بين الإرهابيين وأسلحة الدمار الشامل[١٧]. وأنشأ رامسفيلد مكتب جديد تحت اسم: (مكتب الخطط الخاصة)، وتم توجيهه للعثور على دليل حتى وإن كان مصطنع، يمكن استخدامه كذريعة للحرب على العراق، ونجح المكتب في اعداد تقارير استخبارية أسهمت في تشكيل السياسة الأمريكية العدائية تجاه العراق.

وبذلك نجحا وولفويتز ورامسفيلد في إقناع صناع القرار الأمريكي بأن الإطاحة بحكومة صدام حسين، هي الطريق الأمثل في مواجهة الإرهاب والإنتصار عليه.

بدأ التخطيط التفصيلي في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢م، بأول لقاء من سلسلة لقاءات عقدت بين الجنرال تومي فرانكس قائد مسرح العمليات ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد، إتبعت الخطط الموجودة لدى القيادة المركزية الأمريكية Oplan 1003[١٨]. وصاغ الجنرال تومي فرانكس خطة تدعو إلى تهيئة ٣٨٠,٠٠٠ جندي للغزو والإحتلال[١٩].

وفي اجتماعه مع وزراء إدارته في ٢٩ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢م، أشار الرئيس بوش إلى تطور السياسة الخارجية، وعبر عن محور الشر الذي يهدد العالم، وتم وصف العراق وإيران وكوريا الشمالية بمحور الشر، وتم الإعلان خلال الإجتماع، بأن الولايات المتحدة ستتصرف بشكل استباقي ضد الدول التي لديها أسلحة دمار شامل تهددها[٢٠]. وبعد أن تم تصنيف العراق على أنه الأخطر من بين تلك الدول، تم توجيه السياسة الأمريكية إلى ضرورة بذل كافة الجهود التي من شأنها الإطاحة بالنظام القائم، وكأن العراق حجر الزاوية في البناء الأمريكي الجديد المتذرع بإحلال الديمقراطية محل أنظمة الحكم الإرهابية.

منذ إعلان الإدارة الأمريكية حربها ضد ما أسمته بالإرهاب، بدأت مرحلة جديدة من التوافق الأمريكي الإسرائيلي، وتم إشراك الولايات المتحدة وإسرائيل معاً في تقاسم الخوف من الإرهاب، وصار تصوير العراق على أنه الداعم الأساس للإرهاب، وأنه بات خطراً يهدد المصالح الأمريكية، وطلب رامسفيلد من الإدارة العسكرية وضع خطة لضرب العراق، محملاً إياه مسؤولية دعم الإرهاب، وتوجيه رئيس وكالة المخابرات المركزية سراً في شباط/فبراير ٢٠٠٢م، لبدء تطوير خطط لدعم الجهود العسكرية لإسقاط نظام الحكم في العراق [٢١].

ومع تزايد احتمالية قرب موعد الحملة، بدأت تصريحات إسرائيل العلنية لدعم رامسفيلد في إتمام مهمته في الإعداد للحرب، وفي قيادة القوات الأمريكية الوسطى تحت قيادة تومي فرانكس ومساعده جون أبي زيد، طلب أبي زيد من إسرائيل، عدم إبداء أية ردة فعل إزاء ما يجري في الخليج، لاسيما ما يتعلق بالعراق[٢٢].

من المعلوم أن المحافظون الجدد بدأوا منذ سيطرتهم على القرار السياسي في إدارة الرئيس بوش، على توجيه السياسة الأمريكية نحو وجوب العمل على إزاحة نظام الحكم في العراق، وكانوا يقدمون خيار الحرب في أغلب تقاريرهم، وبحكم ارتباطهم الداخلي بمنظمة الآيباك، والخارجي بإسرائيل، تم تنسيق العمل مع مراكز البحوث الإسرائيلية، وصناع القرار داخل إسرائيل، للعمل على تصوير العراق، بأنه يمثل الخطر الكبير على المصالح الأمريكية وإسرائيل، بسبب إخفائه حيازة وتطوير أسلحة الدمار الشامل. وشن المحافظون الجدد حملة لا هوادة فيها لكسب الدعم لإجتياح العراق، ونشروا في الثالث من نيسان/أبريل ٢٠٠٢م، رسالة مفتوحة إلى الرئيس بوش، ربطت بوضوح أمن إسرائيل بالحرب على العراق، وخلص الرسالة بالآتي: "إن حرب إسرائيل ضد الإرهاب هي حربنا، وانتصار إسرائيل هو جزء مهم من انتصارنا، ونحتاج لأسباب أخلاقية واستراتيجية معاً إلى أن نقف مع إسرائيل في حربها ضد الإرهاب"[٢٣]. ودعا المحافظون الجدد الرئيس بوش لخوض سلسلة من الحروب على الدول العربية التي مازالت تشكل مصدر خطر على الولايات المتحدة وإسرائيل معا.

صورت الرسالة تلك، أن على الولايات المتحدة أن تحسم أمر العراق مادام قد صنّف ضمن المخاطر التي تهدد إسرائيل، وتوالت التصريحات الإسرائيلية الداعمة لخيار الحرب، وأمام تلك التصريحات المحرضة على العراق والمؤيدة لهجوم عاجل عليه، ألقى الرئيس بوش خطابه في الأول من حزيران/يونيو ٢٠٠٢م، والذي ألمح فيه إلى أنه إتخذ قراره بالفعل بشأن العراق،

واتخذ الرئيس بوش استراتيجية ذات مسارين: الأول هو الإنتشار العسكري واستدعاء الإحتياط لحشد القوات في منطقة الخليج العربي. والمسار الثاني سيركز على الدبلوماسية في دعم جهود الأمم المتحدة، وفي حال إخفاقها فإن الدبلوماسية ستركز على دعم الكونغرس والجمهور لخدمة المسار الأول[٢٤]. وفيما يتعلق بالمسار الثاني، فإن الكونغرس صار جاهزاً بفضل المحافظون الجدد، لتأييد الرئيس بوش في أي إتجاه يهدف إلى الإطاحة بنظام الحكم في العراق [٢٥].

اعتقد مؤيدوا الحرب على العراق، بأن احتلال العراق من شأنها أن تسهم في أمرين: الأول هو ضمان أمن إسرائيل فيما يتعلق بمسار السلام. والثاني: هو إمكانية رسم وتشكيل الشرق الأوسط الجديد الذي خطَّته الإستراتيجية الإسرائيلية والأمريكية معاً.

وفيما يتعلق بتأثير زوال النظام العراقي وتأثيره على عملية السلام، تم عقد اجتماع لتداول الآراء حول العراق في ٢٢ تموز/يوليو ٢٠٠٢م، وتساءل ريتشارد أرميتاج (نائب وزير الخارجية الأمريكي) فيما إذا كان ذلك وقتاً ذكياً لإثارة قضية العراق مع الرئيس الأمريكي، نظراً إلى أن عملية السلام الفلسطينية– الإسرائيلية متوقفة تماماً، وأجاب وولفويتز بأن زوال العراق سيفيد أهدافنا في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية، إذ أنه كان يعارض الحلّ الفلسطيني الوسط، ويشجع الفلسطينيين على أن يصبحوا انتحاريين ضدّ إسرائيل[٢٦]. وشكّل ذلك الموقف حجة لإدانته، وضرورة العمل للهجوم عليه.

وأوضح الرئيس بوش في مذكراته، أن العراق لم يتعاطف مع الإرهابيين فحسب، ولكنه قام أيضاً بدفع مبالغ لعائلات الإنتحاريين الفلسطينيين، وآوى الإرهابيين مثل أبو نضال الذي قاد هجمات أدت إلى مقتل تسعة عشر من موظفي تذاكر الطيران الإسرائيلي في روما وفيينا[٢٧]. ومن جانبها أكدت كوندليزا رايس هذا الأمر في قولها بشأن ارتباط العراق بالإرهاب قائلةً: "كان العراق معروفاً بدعمه للإرهابيين، فقد كان يعطي ٢٥,٠٠٠ دولار لكل عائلة من عائلات الإنتحاريين الفلسطينيين بعد كل عملية"[٢٨]. واجتمعت تلك الأسباب لتشكل قوة دافعة لكسب التأييد الداخلي والخارجي لعملية الهجوم على العراق.

وهنا يتضح أن المناداة بالحرب على العراق، لم تكن الغاية للأهداف الأمريكية أو الإسرائيلية فحسب، وإنما كانت الوسيلة والمحطة الأولى لتنفيذ مراحل الإستراتيجية المرسومة للمنطقة العربية بالكامل، وإن الأمر لا يقتصر على إسقاط حكومته، وإنما إزالتها للبدء

بالمراحل اللاحقة. إذ كان التخطيط لإحتلال العراق وتدميره، يخطط له قبل أحداث أيلول/سبتمبر، بل حتى قبل دخول العراق الكويت، لتنفيذ المخطط الرامي لتفتيت دول المنطقة وفق المخطط الصهيوني، وإعادة هيكلته وفق الإستراتيجية المرسومة، لتحقيق الحلم الإسرائيلي في السلام المؤدي إلى التطبيع، الذي يمكنه أن يمهد الطريق نحو قيام الشرق الأوسط الجديد القائم على السوق الشرق أوسطية، والذي سيكون لإسرائيل حسب زعمهم الدور القيادي فيه.

وبذلك احتلت شعارات الديمقراطية ومواجهة الإرهاب، مكانة جوهرية في دعم الجهود الأمريكية نحو تصفية خصومها وتحقيق سيطرتها وتواجدها في منطقة الشرق الأوسط، بعد أن ساد الإعتقاد بأن الإطاحة بنظام الحكم في العراق، ستسهم في تعزيز الموقع الأمريكي والإسرائيلي في المنطقة. ليتضح بشكل أكثر، أن مشروع الشرق الأوسط هو جزء من الهدف وليس الهدف كله، صحيح أنه يمثل الهيمنة الإقتصادية والتي ربما تقود إلى الهيمنة السياسية، ولكن ما هو أكبر من ذلك، ما ينتج عنه من تشتيت المنطقة ومنع فاعليتها، وربما تعيد تجزئة التجزئة التي أناخت بحملها على رؤوس العرب، منذ أن دق (سايس–بيكو) سكين الموت على وحدتها.

وبعد أن حدد الرئيس بوش يوم ١٥ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢م، موعداً نهائياً لمستشاريه لوضع خطة مترابطة للتعامل مع العراق، كان القلق الذي ساور الرئيس بوش، هو الخوف من أن تقوم الحكومة العراقية بتخريب حقول البترول، أو إطلاق الصواريخ ناحية إسرائيل، وكانت أكبر مخاوفه من احتمالات استخدامها لأسلحة بيولوجية أو كيميائية ضد قواته أو حلفائه. ويقول: "تحدثت مع تومي فرانكس خلال المدة ما بين كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠١م وحتى آب/أغسطس ٢٠٠٢م، لعشرات المرات، طالباً منه تقديم خطط الحرب على العراق بشكل مفصل، وفي الخامس من آب/أغسطس ٢٠٠٢م، قدّم فرانكس خطته المحدثة والتي بددت كثيراً من المخاوف الرئيسية"(٢٩).

علماً أن تومي فرانكس صرّح بعد إنتهاء الحرب مباشرة، بأن عدم قيام العراق بمهاجمة إسرائيل أو القوات التي هاجمت بغداد بالأسلحة الكيماوية، كان مفاجأة كبيرة لنا.

على الرغم من إطمئنان الرئيس بوش على خطط الحرب، إلا أن نائب الرئيس تشيني لم يكن مطمئناً مثله، فقد وصف العراق بأنه تهديد مميت للولايات المتحدة، وعدو يمكنه في مرحلة ما تعريض الولايات المتحدة أو أي أمة أخرى للإبتزاز النووي، لذا فإن للولايات المتحدة الحق في القيام بهجوم استباقي على من يحتمل أن يهددونا، سواء كانوا إرهابيين أو دولاً

مارقة[٣٠]. وكان يساند تلك المواقف الـ C.I.A التي أفادت في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢م، بأن العراق مازال ملاذاً آمناً ونقطة عبور، ونقطة لقاء عملانية للجماعات والأفراد الذين يوجهون العنف للولايات المتحدة وإسرائيل وغيرهما من الحلفاء، وللعراق تاريخ طويل في دعم الإرهاب"[٣١].

علماً أن ما جاء في الخطاب الذي ألقاه تشيني، وما أفادت به الـ C. I. A. لم يستند إلى أدلة تثبت ارتباط العراق أو دعمه للإرهابيين، وإنما كان الخوف يستند إلى الشكوك فيما لو حصل العراق على ذلك، وما يمثله من خطر على سلامة الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل، وبذلك صار إسقاط نظام الحكم في العراق ضرورة ملحة لضمان الحفاظ على المصالح الأمريكية.

بعد إنقضاء عام على أحداث أيلول/سبتمبر، وخلال مقابلة جرت معه في مكتبه في البيت الأبيض، أكّد الرئيس بوش قائلاً: "أن الحادي عشر من أيلول/سبتمبر أحدث تحولاً كبيراً في نمط تفكيري حول مسؤوليتي كرئيس للجمهورية، لأن الحدث جعل أمن الشعب الأمريكي هو الأولوية والواجب المقدس"، وأوضح ذلك النهج في مذكراته قائلاً: "ركزت سياستي في الأشهر الثمانية الأولى لي في منصبي على تشديد فرض العقوبات على العراق، وإبقائه في قوقعته، وبعد ذلك جاءت ضربات ١١ أيلول/سبتمبر، وكان علينا تجديد نظرتنا لكل تهديد في العالم.. كانت هناك حكومات راعية للإرهاب، وكان هناك أعداء للولايات المتحدة، وحكومات تهدد جيرانها، وكان هناك دول تنتهك المتطلبات الدولية، وطغاة يقمعون شعوبهم، وكان هناك أنظمة تسعى إلى الحصول على أسلحة الدمار الشامل، واجتمعت هذه التهديدات بكليتها في العراق[٣٢].

وحول تلك المخاوف، أعلن في ٢٠ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢م، عن استراتيجية جديدة أطلق عليها إسم: (استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية)، والتي باتت تعرف بمبدأ أو مذهب الرئيس بوش، والتي تمثلت بالإنتقال من سياسة الردع والإحتواء التي كانت سائدة خلال مدة الحرب الباردة، إلى سياسة الحرب الوقائية واستباق العدو، التي تستهدف حسب قولهم الإرهاب والدول المارقة. وبموجبها أصبحت الإستراتيجية الدفاعية للولايات المتحدة تقوم على أساس الضربة الإستباقية، والتي تعني أن للولايات المتحدة الحق في توجيه

ضرباتها لأي دولة تتحسس منها الولايات المتحدة، بغض النظر حول ما إذا كانت تشكل تهديداً وشيكاً أم لا.

وبذلك تم صياغة سياسة خارجية أمريكية جديدة، سياسة لا تكتفي بالتخطيط العسكري والعمليات الإستخبارية لمواجهة التهديدات الإرهابية فحسب، بل تبنّي إجماعاً دولياً لشنّ حرب استباقية ضدّ الدول التي تشكّل حسب القناعة الأمريكية تهديداً مباشراً لها. وبمقتضى هذا التوجه الجديد، يحق للولايات المتحدة استخدام القوة العسكرية ضد أي دولة أو جماعة إرهابية، يمكن أن تشكل تهديداً أو خطراً على المصالح الأمريكية.

والمتتبع لتلك الإستراتيجية يتساءل بإستغراب، أي استراتيجية تلك التي تبيح للشكوك أن تكون أساساً للحرب؟. ومادامت هناك استراتيجية جديدة، فمعنى ذلك أن هناك حرب جديدة، ويبدو أن تلك الإستراتيجية الجديدة، ستكون مخصصة للعراق، ومنه إلى إحكام السيطرة في المنطقة.

ضمن الإستعدادات الأمريكية للحرب على العراق، إلتقى الرئيس بوش في ١٩ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢م، أحد عشر عضواً من مجلس النواب في غرفة مجلس الوزراء، وبدأ كلامه قائلاً: "الحرب على الإرهاب سائرة على ما يرام.. نقوم بإصطياد أفراد القاعدة وإيقاعهم في الفخ فرداً فرداً، أما التهديد الأكبر فيبقى متمثلاً بالعراق وأسلحة الدمار الشامل الموجودة بحوزته.. يستطيع العراق أن يفجر إسرائيل، ومن شأن ذلك أن يقدح زناد صراع دولي". وأضاف بوش للجماعة قائلاً:" سوف نضع أيدينا على حقول النفط في وقت مبكر، وسنخفف من شدة الصدمة النفطية"(٣٣). وهنا يتضح بشكل لا لبس فيه، حقيقة الأطماع الأمريكية بثروة العراق النفطية، لمواجهة أي أزمة نفطية قد تنشأ في المستقبل القريب.

وفي محاولة لتأييد قرار الحرب، ألقى الرئيس بوش خطابه التلفزيوني في السابع من تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢م، دعا فيه الكونغرس إلى تمرير قرار التفويض، وفي استجابة سريعة، أصدر الكونغرس في ١١ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢م، قراراً مشتركاً يخوّل الرئيس بوش استخدام أي وسيلة ضرورية لتطبيق قرارات مجلس الأمن ضد العراق، والدفاع عن الأمن القومي الأمريكي(٣٤).

كان المخططون الأمريكيون والبريطانيون على دراية تامة من أن إجتياح العراق سيفضي على الأرجح إلى إلهاب جذوة الإرهاب وزيادة انتشار أسلحة الدمار الشامل، تماماً مثلما حذّر

العديد من المحللين ووكالات الإستخبارات. فقد أبلغ مدير الـ C.I.A جورج تينيت الكونغرس الأمريكي في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢م، أن غزو العراق قد يدفعه إلى مؤآزرة الإرهابيين الإسلاميين في شنّ هجوم بأسلحة الدمار الشامل على الولايات المتحدة. وتكهن مجلس الأمن من جانبه، بأن غزواً بقيادة أمريكية للعراق، سوف يضاعف من التأييد للإسلام السياسي، وسيتمخض عنه مجتمع عراقي منقسم بعمق على نفسه، وميّال إلى التناحر الداخلي العنيف، مما سيتولد عنه إرهاب داخل العراق وفي العالم قاطبة(٣٥).

وتمهيداً لتلك الحرب، عقد في البيت الأبيض اجتماعاً ضم الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء الإسرائيلي شارون في ١٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢م، وتم مناقشة الغزو الأمريكي المحتمل على العراق، وطلبت إسرائيل مساعدات عسكرية إضافية وضمانات قروض لمساعدة إسرائيل في الإستعداد للحرب ضد العراق(٣٦). وأوضح شارون بأن العراق يشكل تهديداً خطيراً للشرق الأوسط، وإنه يمتلك أسلحة الدمار الشامل، مؤكداً القول: "لا يمكن الذهاب إلى العراق بدون مخرج واستراتيجية قابلة للتطبيق، والتي يجب من خلالها مكافحة التمرد المتوقع، والذي يتعين في النهاية تقسيم العراق إلى مكونات"(٣٧).

وهذا الطلب نفسه الذي قدمه شارون عند لقائه بالرئيس بوش الأب في العام ١٩٩٦م. وخلال الإجتماع أقر الرئيس بوش بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها فيما لو تعرضت لأي إعتداء من قبل العراق. وقد رحبت الحكومة الإسرائيلية بذلك القرار، وعدّته الضوء الأخضر لها لممارسة دورها في الدفاع عن النفس.

وبناءاً على توصية مجلس الأمن القومي الإسرائيلي، بدأت إسرائيل في أواخر العام ٢٠٠٢م، ببناء مركز قيادة وسيطرة محصن ومحمي من الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل الأخرى، أطلق عليه (المركز القومي لإدارة الأزمات) في جوف جبل في القدس الغربية بالقرب من مقر رئيس الحكومة الإسرائيلية، واتضح من التصريحات التي أدلى بها عدد من المختصين والمسؤولين الإسرائيليين، أن الهدف الأساس من بناء هذا المجمع الواسع، هو تزويد رئيس الحكومة والحكومة الإسرائيلية وقادة الاجهزة الأمنية والمؤسسات الحكومية الأخرى بمقر محصن في حالات الطوارئ الإستثنائية، التي تشمل إندلاع حرب نووية أو بيولوجية، لإستعماله مركزاً للقيادة والسيطرة، يمكنهم من إصدار الأمر بتوجيه الضربة النووية (الردع النووي) إذا تعرضت إسرائيل لهجوم بالسلاح النووي(٣٨).

وبعد أن فهمت الإدارة الأمريكية بأن العراق يمثل المرحلة الأولى للمشروع الجديد، وأنه بات لزاماً شنّ الحرب عليه تمهيداً لإحتلاله، بدأت الإدارة الأمريكية تروّج لحربها الإعلامية بمصطلحات عالمية، وأعلن الرئيس بوش في الثالث من كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣م، أمام الصحفيين في البيت الأبيض: "إن الطريقة الوحيدة لحماية الولايات المتحدة وأمن مواطنيها، هي مقاتلة الإرهاب في موطنه العراق"(٣٩).

ومع التأييد الرسمي والشعبي الإسرائيلي للإدارة الأمريكية، كانت تقارير لجان التفتيش المقدمة لمجلس الأمن جزءاً مهماً ودافعاً للإدارة الأمريكية لتبرير تحركاتها ضدّ العراق.

وبينما كانت تلك الطروحات تجري في السر والعلن، جاء تقرير هانس بليكس (مدير لجنة الأونموفيك) ليصب الزيت على النار، ففي ٢٧ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣م، قدم تقريره إلى مجلس الأمن الدولي، موضحاً أن على العراق أن يجيب عن ما يخفيه من مسائل متعلقة بإمتلاكه غاز الأعصاب، لأن لديه معلومات تتعارض مع ما أعلنه العراق بشأن تدميرها بعد حرب الخليج، وأتهم العراق أيضاً بإخفائه قنابل كيميائية، وإن اللجنة اكتشفت صواريخ كيميائية لم يكشف عنها العراق، وقد تكون هذه الصواريخ غيضٌ من فيض، وإن المفتشون وجدوا في مواقع أخرى كمية مختبرية من ثنائي ثيو غليكوم (من سلائف غاز الخردل)، وأتهم العراق بأنه لم يقدم أدلة مقنعة فيما يتعلق بقيامه بتدمير أسلحته البيولوجية (الأنثراكس– الجمرة الخبيثة)، وإن لديه مؤشرات قوية بأن العراق أنتج منها أكثر مما أعلن عنه.

بينما لم يذكر بليكس أن عمليات التفتيش التي استمرت منذ إصدار قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ لعام ١٩٩١م، والقاضي بنزع أسلحة الدمار الشامل عن العراق، ولغاية تقريره الذي رفعه بعد أحد عشر عاماً، قد أزال بشكل لا يقبل الشك، البرنامج النووي العراقي، وساهم بتدمير أسلحته البيولوجية والكيميائية أيضاً، وإلا ماذا كانت تعمل تلك اللجان على مدى أحد عشر عاماً من التفتيش والمقابلات.

وفي الجلسة رقم ٤٧٠١ لمجلس الأمن، المنعقدة في الخامس من شباط/فبراير ٢٠٠٣، والمتعلقة بالعراق، تحدث كولن باول لمدة ساعة ونصف بشأن الخطر الذي يمثله العراق، متهماً إياه بخرقه لإلتزاماته التي نصّ عليها القرار رقم ١٤٤١، وإنه يخفي جهوده لإنتاج المزيد من أسلحة الدمار الشامل.

وخلال التقرير الذي قدمه كولن باول، تطرق إلى مسألة حساسة، مدعياً بأن العراق نجح في تطوير أسلحة مزودة لا بالجمرة الخبيثة فحسب، بل أيضاً بعناصر بيولوجية أخرى، وإن جهود العراق في مجال البحوث لم تتوقف عند هذا الحد، بل تطوّرت إلى تطوير العناصر البيولوجية التي تسبب أمراض الطاعون وحمى التيفوس، والكزاز والكوليرا وجدري الجمال والحمى النزفية، ولديه أيضاً المواد التي يستطيع بواسطتها أن يطور مرض الجدري، وإن لدى العراق على الأقل سبعة من المعامل المتنقلة التي تنتج عناصر الأسلحة البيولوجية، ولديه أسلحة بيولوجية والقدرة على رش هذه السموم والأمراض الفتاكة بطرق تؤدي إلى الموت بأعداد هائلة والدمار بصورة خطيرة (٤٠).

أعطى كولن باول بتقريره هذا، والمتضمن بزعمه حقائق تثبت أن العراق صار الخطر الأكبر على العالم، الحجة الكافية لضرورة الإسراع بإتخاذ قرار الحرب، وعدم إعطاء أية فرصة أخرى له، ويبدو أن كولن باول قد قدم العراق على مذبح مجلس الأمن، وأعطى الولايات المتحدة الذريعة لشنّ حربها ضدّه ،وتحويل كل جزء منه إلى هدف مستباح.

واستمر كولن باول في تحركاته المرسومة لتبرير التوجهات الأمريكية بشأن الحرب على العراق، وقدم تقريره إلى الكونغرس الأمريكي في التاسع من شباط/فبراير ٢٠٠٣م، والذي أشار فيه بأن قيام الولايات المتحدة بإحتلال للعراق، سيؤدي إلى ترسيخ الديمقراطية في الوطن العربي، وإعادة ترتيب المنطقة وفق المصالح الأمريكية وشروط السلام الإسرائيلي.

بعد التقارير التي قدمها باول بشأن العراق، ارتكز الخطاب السياسي الأمريكي على مسألة الديمقراطية والحرية التي ستتمخض عن إسقاط نظام الحكم في العراق، والذي سيمهد الطريق لنشرها إلى باقي أجزاء الوطن العربي، وتحدث الرئيس بوش في ٢٦ شباط/فبراير ٢٠٠٣م، بأن الولايات المتحدة تهدف إلى زرع الحرية والسلام في الشرق الأوسط، وإن للعالم مصلحة واضحة في نشر القيم الديمقراطية، وإن إقامة عراق حُر وديمقراطي، سوف يكون بمثابة نموذج للحرية والديمقراطية تستلهمه باقي دول المنطقة، ويطلق أيضاً مرحلة جديدة من أجل تحقيق السلام الإسرائيلي الفلسطيني، ثم السلام الشرق أوسطي. وأعلنت إسرائيل ترحيبها وتأييدها لعزم الولايات المتحدة نشر الديمقراطية في دولة عربية مهمة مثل العراق، في محاولة لكسر أهم حواجز التطبيع العربي مع إسرائيل.

ورسم ضباط إسرائيليون كبار وآخرون مقربون من رئيس الوزراء أريئيل شارون في شباط/فبراير ٢٠٠٣م، صورة وردية للمستقبل الرائع الذي يمكن لإسرائيل أن تتوقعه بعد الحرب، وصوّر هؤلاء أن احتلال العراق سينتشل إسرائيل من أزماتها. ونشرت الصحف الإسرائيلية عناوين مثل:(الجيش الإسرائيلي المتحمس ينتظر الحرب في العراق). وكتب جيمس بنيت موضوعاً في النيويورك تايمز في ٢٦ شباط/فبراير ٢٠٠٣م، بعنوان: (إسرائيل تقول إن الحرب على العراق ستعود بالفائدة على المنطقة)[٤١]. كل ذلك كان إيذاناً بقرب وقوع الحرب.

وبعد إخفاق الولايات المتحدة في بناء تحالف دولي للحرب على العراق مثلما فعلت في حرب الخليج ١٩٩١م، تمكنت مع بريطانيا من حشد قوة قتالية تقدر بـ ٣٠٠ الف مقاتل، ولا يخفى أن بريطانيا كانت من أشدّ المتحمسين مع الولايات المتحدة الأمريكية للحرب على العراق واحتلاله، كان رئيس وزرائها توني بلير من أوثق المتحالفين مع الإدارة الأمريكية في تبنيها الحرب على الإرهاب بعد أحداث أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م.

ومع اقتراب الموعد الذي حدده مجلس الأمن لإتخاذ ما يلزم ضدّ العراق تمهيداً للحرب، ومع تسارع الحشود المؤيدة لها، دخلت القوات الأمريكية الموجودة في الخليج العربي في ١٤ أذار/مارس، حالة التأهب القصوى والإستعداد التام بإنتظار ساعة الصفر لشن الحرب على العراق، وترك هذا العمل نتائجه على التحركات في العراق، ففي ١٥ أذار/مارس ٢٠٠٣م، لاحظت الإستخبارات الأمريكية والإسرائيلية في وقت واحد، ظهور صواريخ باليستية غربي العراق، ولكن دون تحديد موقع معين لها. وفي ليلة ١٧ أذار/مارس، لاحظت الإستخبارات الأمريكية والإسرائيلية ظهور طبعة الكترونية Electronicsignature (وهي نمط متميز ويمكن ملاحقته من الإتصالات الألكترونية)، ما يشير إلى توزيع رؤوس وقنابل كيمياوية وبايولوجية إلى تشكيلات قتالية في جنوبي وغربي العراق، وقد ترك العراقيون تعمداً ظهور هذه الصور كعلامة تهديد وردع للأمريكان[٤٢]. ومن المعلوم أن من شأن تلك التحركات أن تسرّع من عمليات الهجوم لعدم إفساح المجال للحكومة العراقية للمناورة وأخذ الإستعدادات.

تمهيداً لإطلاق إشارة الحرب، خاطب الرئيس بوش في يوم الإثنين الموافق ١٧ أذار/مارس ٢٠٠٣م، من قاعة الصليب في البيت الأبيض قائلاً: "على صدام حسين وولديه أن يغادروا العراق في غضون ثمانٍ وأربعين ساعة، وفي حال رفضوا المغادرة، فإن ذلك سوف يؤدي إلى نشوب صراع عسكري وفق التوقيت الذي نحدده نحن"[٤٣]. وقبل انتهاء المدة

الممنوحة للرئيس العراقي لمغادرة العراق، إتصل الرئيس بوش برئيس الوزراء الإسرائيلي شارون في ١٧ أذار/مارس، وقال له: "قلت لك في المكتب البيضوي يا أريئيل إنني سأُعلِمك قبل ٧٢ ساعة، وها أنا ذا أُعلِمك الآن". وشكر شارون الرئيس بوش خلال المكالمة التي استمرت ثلاث دقائق(٤٤).

بدأ اليومان اللذان تليا الإنذار، حسبما وصف الرئيس بوش وكأنهما إسبوع، وذكر قائلاً: "في صباح يوم الأربعاء، دعوت كامل أعضاء مجلس الأمن الوطني للإجتماع في غرفة العمليات، حيث أعطيت الأمر بإطلاق عملية تحرير العراق"(٤٥). وفي عشية الحرب، قال شارون في حديث مغلق مع بعض السيناتورات: "أنهم إذا نجحوا في التخلص من العراق، فسيحل ذلك مشاكل إسرائيل الأمنية"(٤٦).

صادق الرئيس بوش في ١٩ أذار/مارس على خطة الهجوم، وأمر بوضعها موضع التنفيذ لمدة ست ساعات. وقبيل الثالثة مساءاً توفرت معلومات لمدير الـ .C.I.A جورج تينيت، تفيد بمعرفة وجود مكان صدام حسين وولديه هذه الليلة، والمتوقع أن يكون في مجمع سكني في مزرعة الدورة، وإندفع تينيت إلى البنتاغون في الساعة ٣:٣٠، ودخل مكتب وزير الدفاع رامسفيلد الذي كان يناقش الحرب الجوية الوشيكة مع وكيل الوزارة بول وولفتز، وكان موعد ساعة إندلاع الحرب قد تقرر في الليلة التالية (٢٠ أذار/مارس)، وبعد أن قدم جورج تينيت آخر المواد الإستخبارية القادمة من بغداد، والمتعلقة بإمكانية إنهاء الحرب وقتل صدام حسين بضربة قاضية واحدة دون الحاجة لخوض المعارك الكبرى، وأقرّ رامسفيلد ذلك، حينها إتصل جورج تينيت بالبيت الأبيض مقترحاً عقد اجتماع طارئٍ مع الرئيس بوش، وعند حوالي الساعة الرابعة مساءاً، دخل رامسفيلد وتينيت المكتب البيضاوي وأبلغا الرئيس بوش بأن الـ.C.I.A تبينت مكان مبيت صدام حسين هذه الليلة، وإن البنتاغون قادر على شن ضربة ماحقة، وهم بحاجة فقط لمصادقة الرئيس لتنفيذ ذلك.

واستدعى بوش أعضاء آخرين من مجموعة الأمن الوطني، منهم نائب الرئيس تشيني ووزير الخارجية باول والجنرال ريشارد مايرز رئيس هيئة رؤساء الأركان المشتركة والجنرال تومي فرانكس، ثم طلب من بينيت ورامسفيلد إعادة شرح مقترحهم، ثم بدأت المناقشة حول المضامين والنتائج السياسية والقانونية لشن ضربة ماحقة.

وبحلول الساعة السابعة والنصف مساءاً، وحال تأكد العسكريين قدرتهم على تعديل التوقيتات وبدء الحرب وفق الترتيب الجديد، وقّع بوش أمر شنّ الضربة الفورية، وانطلقت طائرتا شبح من قاعدة "العيديد" في قطر نحو بغداد، وفي الساعة التاسعة والنصف مساءاً (الخامسة والنصف توقيت بغداد)، ألقت الطائرتان قنابلهما على المبنى الرئيس لمزرعة الدورة، تلاها بعد دقائق تساقط ٤٠ صاروخ كروز على كامل المنطقة، وأذاع الرئيس بوش في الليلة نفسها خطابه المتلفز قائلاً: "بدأت قوات الإئتلاف قصف أهداف عسكرية انتخبت لأهميتها في إضعاف قدرات العراق لخوض الحرب"(٤٧).

وفي اليوم التالي، بدأت ما أطلق عليها الأمريكان (ليلة الرعب)، حين أصابت صواريخ الكروز والبالغ عددها ألف صاروخ وخمسمائة وخمسون مقذوف موجهة بالليزر أطلقتها الطائرات الأمريكية، معظم المباني الحكومية والعسكرية والرئاسية وبعض الجسور(٤٨).

بدأت المواجهة الفعلية بين القوات الأمريكية المعززة بأحدث الأسلحة الفتاكة وبين القوات العراقية بإمكانياتها البسيطة، وعلى الرغم من المعارك التي شهدتها مدن عدة مثل الناصرية والبصرة ومعارك المطار، إلا أن القوات الأمريكية تمكنت من دخول بغداد في يوم الثامن من نيسان/أبريل ٢٠٠٣م، وتوجهت قوات المارينز إلى ساحة الفردوس، وقامت في اليوم التالي بعملية إسقاط تمثال صدام حسين، وبذلك عدّ هذا الحدث، العلامة البارزة والحدّ الفاصل بين عراق ما قبل الإحتلال وعراق ما بعده، وصار العلامة التاريخية لسقوط حكومته.

سقطت حكومة بغداد، وحققت الحملة الأمريكية هدفها في البدء بإحتلاله، وانطلق الرئيس بوش ليعلن في الأول من أيار/مايو ٢٠٠٣م، وعلى متن حاملة الطائرات يو إس إس ابراهام لنكولن USS Abraham Lincoln حين وقف أمام لافتة تعلن أن المهمة أُنجزت، معلناً نهاية العمليات القتالية الرئيسية في العراق(٤٩). لتبدأ بعدها مرحلة جديدة من تاريخ العراق، تمثل بنهاية عهد وبداية آخر مختلفاً بكل المقاييس عن سابقه.

**الخاتمة**

تبين من خلال البحث بأن المخطط الأمريكي لإحتلال العراق لم يكن سببه هجمات الحادي عشر من سبتمبر، أو بسبب حيازته أسلحة الدمار الشامل، وإنما مخطط كان معداً له منذ خروجه من حربه مع إيران وهو بقمة زهوه العسكري، وأن الأدارة الأمريكية تمكنت من استغلال أحداث سبتمبر، وتسويقها لدعم خططها المتعلقة باحتلال العراق، لاسيما وأن

محاولات احتلاله وتدميره كانت تجري وفق الخطط الذي تم رسمه من قبل مجموعة المحافظين الجدد، الذين كانت لآرائهم وتوجيهاتهم الأثر الكبير في رسم السياسة الأمريكية، فضلاً عن الدور الذي قامت به إسرائيل، في تسخير حملاتها الإعلامية وتقاريرها الاستخبارية المحرضة على وجوب الحرب على العراق.

**Abstract**

**The events of September 11th and its repercussions on Iraq**

**Keywords: the events of the eleventh, September, Iraq**

**M. Dr.. Hamed Abed Ali Shabib Al-Mohammadi**

**General Directorate of Anbar Education**

The research deals with the role of American policy in exploiting the events of September 11, They made this reason as an excuse for war on Iraq, The research shows how the event had a great impact in directing Zionist activity to induce the conservatives to press on the American administration to issue the decision of the war on Iraq, and how the issue of accusing Iraq of supporting terrorism and owning weapons Mass destruction was the most prominent issue that led to the launching of war on it and then its occupation.

## قائمة الهوامش والمصادر

(١) جيا فخري عمر محمد علي الجاف، الإستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية- العراق انموذجاً-، ط١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢، ص١٦٢.

(٢) جون ج. ميرشايمر وستيفن م. والت، اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة: أنطوان باسيل، ط١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٧،ص ٣٤٣.

(٣) زبيغنيو بريجنسكي، الاختيار- السيطرة على العالم أم قيادة العالم، دار الكتاب العربي، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤، ص٤٢.

(٤) ويسلي كلارك، الإنتصارات في الحروب الحديثة- العراق والإرهاب والإمبراطورية الأمريكية، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٢٢، ص١٢٧.

(٥) تيري ميسان، التضليل الشيطاني_ ماذا جرى في ١١ أيلول هجوم إرهابي أم إنقلاب؟، ترجمة: زهير طالب، الدار الوطنية الجديدة، دمشق، ٢٠٠٢، ص١٦٠.

(٦) بوب ودورد، خطة الهجوم، ترجمة: فاضل جتكر، ط١، دار العبيكان، الرياض، ٢٠٠٤، ص٤٤.

(٧) تيري ميسان، التضليل الشيطاني_ المصدر السابق، ص٥٨-٥٩.

(8) Ralph G. Carter, Contemporary cases in U.S Foreign Policy, from terrorism to Trade, Fifth Edition, Twxas Christian University, 2014, pp. 70-71.

(٩) جون ج. ميرشايمر وستيفن م. والت، المصدر السابق، ص٣٦٠.

(١٠) عبدالكريم العلوجي، الإعلام والحرب- العراق نموذجاً، ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٠، ص٥٦.

(١١) دوغلاس ج. فايث، الحرب والقرار من داخل البنتاغون تحت عنوان الحرب ضدَّ الإرهاب، ترجمة: سامي بعقليني، ط١، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص٧٠.

(12) Ralph G. Carter, Op. Cit., p. 71.

(13)Natan Sharansky , The Case for Democracy- the power of freedom to overcome tyranny and terror, New York, 2006, p.67-68.

(١٤) مجدي كامل، رؤوس الشر العشرة- مهندسو المخطط الأمريكي الصهيوني لتفتيت العالم وإشعال الثورات واختطافها وبث الفتن، دار الكتاب العربي، دمشق، ٢٠١٤، ص١٧.

(١٥) دوغلاس ج. فايث، المصدر السابق، ص٢٦١.

(١٦) مذكرات جورج دبليو بوش- قرارات مصيرية، ترجمة: سناء حرب، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص٣٠٣-٣٠٤.

(17) Ralph G. Carter, Op. Cit., pp. 73.

(١٨) ويسلي كلارك، المصدر السابق، ص٢٢- ٢٣.

(19) Ralph G. Carter, Op. Cit., p.75.

(20)Ralph G. Carter, Op. Cit., p. 68.

(21) Ralph G. Carter, Op. Cit., p. 74.

(٢٢) مجموعة من الكتاب والباحثين الإسرائيليين، الدور الإسرائيلي في الحرب الأمريكية على العراق، ص٦٥.

(٢٣) جون ج. ميرشايمر وستيفن م. والت، المصدر السابق، ص٣٦٣-٣٦٤.

(24) Ralph G. Carter, Op. Cit., p. 76-77.

(٢٥) باراك أوباما، جرأة الأمل- أفكار عن استعادة الحلم الأمريكي، ترجمة: معين الإمام، ط٢، العبيكان للنشر، الرياض، ٢٠٠٩، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٢٦) دوغلاس ج. فايث، المصدر السابق، ص٢٤٨.

(٢٧) مذكرات جورج دبليو بوش، المصدر السابق، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٢٨) كوندوليزا رايس، أسمى مراتب الشرف، ترجمة: وليد شحادة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢ ، ص٢٠٣.

(29) Ralph G. Carter, Op. Cit., p. 74.

(٣٠) ويسلي كلارك، المصدر السابق، ص١٥٠.

(٣١) دوغلاس ج. فايت، المصدر السابق، ص٢٢٥.

(٣٢) كوندوليزا رايس، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٣٣) بوب ودورد، المصدر السابق، ص٢٦٩-٢٧٠.

(34) Ralph G. Carter, Op. Cit., pp. 69.

(٣٥) نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة، ص٢٧.

(36) Congressional Research Service, Clyde R. Mark, Issue Brief for Congress, Israeli: U.S.Relations, Updated August 28, 2003, Order code IB82008.

(37)Alan Dershowitz, The Against Israel,s Enemies, New Jerscy, 2008 , p.58.

(٣٨) محمود محارب، سياسة إسرائيل النووية وعملية صنع قرارات الأمن القومي فيها، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٣، ص٥٩-٦٠.

(٣٩) مؤلف جماعي، الشرق الأوسط في ظل أجندات السياسة الخارجية الأمريكية، ص٣٢٣.

(٤٠) تقرير الأمم المتحدة، مجلس الأمن، السنة الثامنة والخمسون، الجلسة ٤٧٠١، نيويورك، الأربعاء ٥ شباط/فبراير ٢٠٠٣.

(٤١) جون ج. ميرشايمر وستيفن م. والت، المصدر السابق، ص٣٤٨.

(٤٢) يوسف بودانسكي، التاريخ السري لحرب العراق، ترجمة: موقع الناس، ٢٠٠٥، (كتاب الكتروني)، ص٤٢-٤٣.

(٤٣) مذكرات جورج دبليو بوش، المصدر السابق، ص٣٣٧.

(٤٤) نقلاً عن: بوب ودورد، المصدر السابق، ص٥٢٤.

(٤٥) مذكرات جورج دبليو بوش، المصدر السابق، ص٣٣٧.

(٤٦) جون ج. ميرشايمر وستيفن م. والت، المصدر السابق، ص٣٤١.

(٤٧) يوسف بودانسكي، المصدر السابق، ص٩-١٠.

(٤٨) رعد مجيد الحمداني، قبل أن يغادرنا التاريخ، الدار العربية للعلوم- ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠٠٧، ص٣١٤.

(49) Ralph G. Carter, Op. Cit., p.84.